

القاعدة يستثمر نصر طالبان لتصدر مشهد الجهاد العالمي

التنظيم يعمل على تعميم النموذج الأفغاني عبر فروعه المحلية في دول مختلفة



لم يختلف بيان القاعدة المركزي الأخير الذي هنا به طالبان بالنصر على الولايات المتحدة وانسحابها من أفغانستان من الناحية الظاهرية عن بيانات فروعها السابقة، لكنه حمل العديد من الإشارات والرسائل الخفية للطيف الجهادي في العالم وقادة الحركة أنفسهم.

هشام النجار
كاتب مصري

يصعب التعامل مع البيان الذي أصدره القاعدة المركزي (قاعدة أيمن الظواهري) في الأول من سبتمبر، أي بعد رحيل آخر جندي أميركي من أفغانستان مع نهاية أغسطس، على اعتباره مجرد تهنئة لطالبان بالنصر على الولايات المتحدة.

واستثمر تنظيم القاعدة الحدث (نصر طالبان) ليتخذ مكانه في تصدر مشهد الجهادية العالمية بجوار طالبان المنتصرة على القوة العظمى في العالم والمهيمنة حاليا على مقاليد السلطة في كابول.

ولم يكتفِ بيان القاعدة المركزي الذي يعلم من كتبه كيف تلقت طالبان وأجهزة الاستخبارات الغربية وواشنطن بعبارات التعالي والتباهي في ما يتعلق بالتأكيد على أهمية "النصر التاريخي" وكونه "موعود الله للفتنة المؤمنة بالنصر" والذي خيب "وعد جورج بوش بالهزيمة" وأثبت "وعد الله بالنصر".. الخ، فهذا ما اكتفت به بيانات فروع القاعدة المحلية كبيان وتصريحات قادة هيئة تحرير الشام في سوريا، وبيان فرع القاعدة في اليمن الذي حمل عنوان "تهنئة ومباركة بالفتح والتمكين في أفغانستان".

وعمد القاعدة المركزي إلى جانب توظيف تلك التحولات الكبرى في المشهد الأفغاني لصالح حليفته القديمة طالبان لضخ الدماء في عروقه وإرسال شحنات معنوية لعناصره وقادته الكامنين والملاحقين على خلفية التمسح بتفوق طالبان واعتباره نصرا للقاعدة ومختلف الطيف الجهادي في العالم، إلى تضمين بيان التهنئة برسائل توحى بأنه حاضر بقوة في المشهد الأفغاني والجهادي ويتقيا لجني المكاسب على المستويين.

إملاء الشروط

خَفَلَ البيان في بعض محطاته بالغموض وانطوت بعض العبارات والإنشادات على حاجة القاعدة إلى أن يبدأ مرحلة جديدة في علاقته بطالبان، لا تكون فيها الحركة الأفغانية صاحبة الكعب الأعلى والكلمة الوحيدة وتضع المحددات وتضبط مسارات الحركة، حيث أوحى في العديد من فقراته إلى أن القاعدة يريد علاقة متوازنة مع الحركة. وإذا كانت طالبان هي السلطة الجديدة

الصاعدة والمتحكمة في مقاليد الحكم، فتتخيم القاعدة بنظر إلى نفسه كوصي ومرشد لكافة طيف الجماعات الجهادية التي لن تستغني طالبان عن التعاون مع بعضها لمواجهة خطر بعضها الآخر المتمثل في ولاية خراسان، أي فرع داعش في أفغانستان وغيرها.

وعمد قادة القاعدة المؤثرون في أفغانستان وكل ساحات الحرب التي تخوضها طالبان ضد خصومها الميدانيين إلى إقناع طالبان أن النفوذ الخارجي والتأسيس لسياسة تجبر مختلف القوى على احترام الحركة وإقامة علاقات ودية معها لن يحدث بغير تحقيق توسع واستنساخ للنموذج الطالباني في الخارج عبر جماعات موالية للقاعدة في أفريقيا والشرق الأوسط تنهيا لتحذو حذو طالبان، ما يعني استنساخ النموذج الطالباني وتعميمه من خلال جهود أفرع القاعدة المحلية.

ويركز قادة القاعدة في الداخل الأفغاني على تثبيت نفوذ شبكة

حقاني التي تلعب دورا محوريا في استثمارية وتمتين العلاقة بين طالبان والقاعدة، ولذلك ذكر بيان القاعدة في سياق الإنشادة بجانب الملا عمر وأختر منصور اسم جلال الدين حقاني مؤسس شبكة حقاني التي تصنفها واشنطن إرهابية.

وتوحى هذه الإشارة بأن تنظيم القاعدة يتخندق مع شبكة حقاني ضد أي تعاون أمني بين واشنطن وطالبان، وهو ما ألح إليه بعض المسؤولين الأميركيين عندما اعتبروا أن مجموعة حقاني تختلف عن طالبان، ما يعني أن القاعدة بصدد ترتيب البيت الجهادي الأفغاني على مقاس مصالحه لإجبار طالبان على إعادة هيكلة استثماريتها بعد الانسحاب الأميركي بالنظر إلى تفاهاتها السابقة مع واشنطن وتقديم علاقاتها مع الجهاديين في شبكة حقاني والقاعدة على أي وعود كانت أعطتها للأميركيين.

وبجانب هذه الإشارات التي تُعد بمثابة خطوط إرشادية جديدة يضعها القاعدة لطالبان وردت في البيان إشارات أخرى توحى بأن القاعدة إذا لم يجد استجابة لشروطه ومحدداته واحتراما لمصالحه من قبل طالبان فمن الوارد أن يتمرد أو يئدي عدم التعاون.

ولم يحدث في السابق أن قدم القاعدة رسائل من هذا النوع في ما يتعلق بالعلاقة مع طالبان، وبعد صعود الحركة للسلطة مجددا حرص في بيانه الأخير على التلويح بالانشقاق وورقة الانضمام لداعش والتمرد وعرقله الحركة الأفغانية فلا تقدر على تحقيق أهدافها، حيث لم يتطرق البيان كما جرت العادة في مثل هذه المناسبات لتجديد القاعدة بيعته لطالبان وأميرها.

وبجانب عدم منح البيعة وتجديد الولاء لقادة طالبان تمنى البيان في الختام أن ينجح قادة طالبان في "تحكيم الشرع في أفغانستان" وهي أيضا عبارة غريبة لم ترد سابقا في أي بيانات تخص طالبان، خاصة أن الحركة الأفغانية بالنسبة إلى القاعدة هي نموذج الدولة الإسلامية المثالية وقادتها هو "أمير المؤمنين".

وتمنى القاعدة نجاح طالبان في تحكيم الشرع وحرص على عدم تجديد البيعة في مناسبة هي الأجدر بذلك بعد تحقيق نصر جهادي كبير والهيمنة على مقاليد السلطة، ليس له معنى سوى بحث رسالة لقادة طالبان أن القاعدة شريك في الحرب وينبغي أن يكون أيضا شريكا في النصر ومكتسباته، وإن لم يحدث

فلهذه خيارات أخرى للتغصيص على الحركة الأفغانية والأوراق متاحة وورقة الانشقاقات والتمرد حاضرة والمزايدات في المتناول.

استراتيجية جديدة

يمكن وصف البيان الأخير للقاعدة بالجري لأنه يتجاوز الخطوط الحمراء التي وضعتها واشنطن بشأن علاقات القاعدة بطالبان والتي تلزم الحركة الأفغانية بقطع علاقاتها بالقاعدة وعدم توفير ملاذ له بأفغانستان، فضلا عن التعهد بمنع أي نشاط حركي أو تنظيمي أو تدريبي أو مد لوجستي من شأنه السماح بتهديد جهادي من الأرض الأفغانية لمصالح الولايات المتحدة وحلفائها.

ويبدو أن القاعدة يرغب في أقصى استغلال ممكن للحدث الأفغاني الكبير لتحقيق ما يستطيعه من مكاسب في لحظة يعتبرها تاريخية، خاصة تلك المكاسب المتعلقة باستعادة تماسك التنظيم والبدء في إعادة بنائه من نقطة إسهامه مع طالبان في هزيمة القوة العظمى في العالم وطردها من أفغانستان وهو ما يمنحه قدرة كبيرة على الملمة شتاته، فضلا عن تجديد عناصر جديدة منبهة بالإنجاز الجهادي الاستثنائي.

ووضحت تلك الرغبة في عبارات القرح والتقرع القاسي التي استخدمها بيان القاعدة في وصف الأميركيين وأعاونهم مشيدا بالنصر التاريخي المؤزر على القوة العظمى بالعالم تحت قيادة الإمارة الإسلامية، ما يعكس توحى القاعدة استثمار انتصار طالبان لتأجيج حماسة الجهاديين في البلدان الأخرى ودفع المزيد من المجندين للانضمام إليها.

ويعكس مضمون البيان عبر قراءة ما بين سطوره ملامح استراتيجية مقبلة للتنظيم تؤسس لمرحلة ما بعد انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان وصعود طالبان للسلطة، حيث اعتبر أن هيمنة طالبان على أفغانستان من شأنها إفساح الطريق لتحرير الشعوب الإسلامية وحتى "شعوب أوروبا ودول شرق آسيا"، وفق نص البيان، خاصة بعد "تمريغ أنف الولايات المتحدة والنافو في أحوال أفغانستان".

وتشير هذه المعطيات إلى أن القاعدة يخطط لاستنساخ التجربة الطالبانية في عدد من مناطق العالم

التي تشهد نشاطا كبيرا للقاعدة في ساحة تستعين فيها سلطة محلية هشة بجيش ضعيف وأجهزة أمنية مفككة بدعم قوة أجنبية خارجية، كما هو الحال في بعض دول أفريقيا.

وتتسم الاستراتيجية الجديدة التي رسم بيان القاعدة المركزي الأخير ملامحها بالتشدد حيال الولايات المتحدة، على الأقل من خلال الخطاب الدعائي والإعلامي بعد أن كان هذا الخطاب خجولا ومتحفظا السنوات الماضية كي لا يسبب القاعدة أي حرج لحركة طالبان، أما وقد انسحبت واشنطن وهيمنت طالبان على الساحة فقد اختلفت الأوضاع وبيات للقاعدة التحرر في خطابها واستخدام الأوصاف وعبارات القرح القاسية تجاه الولايات المتحدة والدول الغربية.

واستخدم بيان القاعدة عبارات في منتهى القسوة في وصف ما جرى للولايات المتحدة وحلفائها على أيدي الجهاديين، حيث وصف البيان واشنطن

التنظيم يركز في الداخل الأفغاني على تثبيت نفوذ شبكة حقاني التي تلعب دورا محوريا في استثمارية العلاقة وتمتينها بين القاعدة وطالبان



نصر طالبان جرعة دفع للجهاديين حول العالم

بأنها رجس ورأس الكفر العالمي، والتي رجعت خائبة صاغرة ذليلة مقصومة الظهر بعد أن تم ترميغ أنفها في أحوال أفغانستان في استعادة خطاب بن لادن وقادة القاعدة القدامى.

وسيتخلف واقع التنظيم بعد صعود طالبان وانسحاب واشنطن عن واقعه قبل ذلك والذي كانت تحكمه اعتبارات ومحددات أمنية واستخباراتية لم يعد لمعظمها وجود على الأرض الآن.

طموحات ومعوقات

أصدر القاعدة بيان تهنئته لطالبان بالنصر في غرة سبتمبر 2021 أي بعد يوم واحد من إجلاء كامل القوات الأميركية واطمئنان تنظيم القاعدة إلى أن أفغانستان صارت خالصة لطالبان حليفته القديمة، والتي يُملى عليها شروطها حتى لا تنسى أصدقاءها الحقيقيين في غمرة النصر والانتشاء بمذاق السلطة التي ستجعل قادتها في مكان آخر بجانب الدبلوماسيين وقادة القوى الكبرى ودول الجوار الإقليمي.

وعمد القاعدة إلى انتظار رحيل القوات الأميركية حتى آخر جندي ليصر بيان تهنئته حتى لا يجرح طالبان التي ستكون في موقع قوة بعد الانسحاب الأميركي الكامل ما يجعل دعم القاعدة الملن غير مؤثر ولا يتسبب في أي تغيير في الأمر الواقع، فهل ستتعاظم طالبان من نفس المنظور وهل هي في وارد التعاامل مع القوى الخارجية من منطق أنها لا تزال على علاقة جيدة بالقاعدة، وليس في ضوء تعهداتها السابقة بقطع تلك العلاقة؟

وعلى المدى الطويل هناك معضلة حقيقية تواجه طالبان بجانب معضلة تحسين الاقتصاد وإدارة الدولة وهي فرض الأمن والاستقرار عبر ضبط علاقاتها وتحالفاتها مع الجهاديين؛ فهناك القاعدة المركزي الذي يبحث عن دور ويطلب بتصيبه في الأرباح والغنائم، مقابل داعش الذي يرفع السلاح ويتقيا لإفشال طالبان لتكريس خلافته.

إذا كيف ستحتوي طالبان القاعدة للتفرغ لداعش، وكيف ستقتنع مختلف القوى بأنها مجبرة على احتواء جناح من الجهاديين العالميين والذي لن يقنع قاداته بالقليل والكمون في ساحة صارت مفتوحة ومغرية للحركة وإعادة البناء وخوض التنافس مع أجنحة الجهاديين الأخرى؟



لن نبقي مكتوفي الأيدي